

رئاسة الحرس الوطني
جهاز الإرشاد والتوجيه

رسائل إرشادية ١٢٣

وقفات مع آيات الصبر

إعداد
محمد بن عبد العزيز الخضيري

طبع على نفقة صاحب السمو الملكي
الأمير/ بدر بن عبد العزيز آل سعود
نائب رئيس الحرس الوطني

طبعة خاصة
بجهاز الإرشاد والتوجيه
بالحرس الوطني
الطبعة الأولى : عام ١٤٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة في بيان خصلة منيفة، وخلق عظيم عليه مدار سائر الأخلاق، فهو واسطة عقدها، وعمود خيمتها، إنه الصبر الذي يوفِّي الله ـ تبارك وتعالى ـ أهله أجرهم بغير حساب، وما نال أحدٌ خيراً في الدنيا أو الآخرة إلا به.

وقد لخصتها من كتب أهل العلم. وأجلُّ ما كتب في

ذلك ما سطره العلامة ابن القيم في كتابه الماتع: «**عُدَّةُ الصابرين وذخيرة الشاكرين**».

كما أفدت كثيراً من كتاب: «**الصبر في القرآن**» للدكتور يوسف القرضاوي. وجعلت مدار الحديث في هذه الرسالة على ما ورد في القرآن الكريم من آيات الصبر، لتحديد زاوية الدراسة، وتجلية معاني تلك الآيات، وبيان عناية القرآن بهذا الخلق العظيم؛ فهذا لون من ألوان التفسير الموضوعي، من غير إغفالٍ لما ثبت عن رسول الله ﷺ في هذا الباب وهو كثير. وكنت كتبتها في الأصل موضوعاً مقرراً في أحد الدروس المقررة على طلاب كلية المعلمين، وقد سميتها «**وقفات مع آيات الصبر**» سائلاً الله ـ سبحانه ـ أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباده، راجياً أخاً اطلع على قصور أو خطأ أن يبلغني به، ويرشدني إليه، وله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

محمد بن عبدالعزيز الخضيري
ص.ب: ٣٩٨ الرياض: ١١٣١٣

مدخـــل

* الإيمان نصفان: صبر وشكر، ولما كان كذلك كان حرياً بالمؤمن أن يعرفهما ويستمسك بهما، وألاَّ يعدل عنهما، وأن يجعل سيره إلى ربه بينهما.

ومن هنا كان حديثنا عن (الصبر في القرآن الكريم) فقد جعله الله جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصناً لا يهدم، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عُدّة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد. والحديث عن مكانته وفضيلته آتيةٌ بإذن الله الإشارة إليه، فلا نستعجلها قبل أوانها.

* وقبل الشروع في المقصود نبيِّن موضوعات الوقفات التي سيدور عليها حديثنا وهي:

الوقفة الأولى: مقدمات في تعريفه وضرورته وحكمه ودرجاته.

الوقفة الثانية: فضله.

الوقفة الثالثة: مجالاته.

الوقفة الرابعة: الوسائل المعينة عليه.

الوقفة الخامسة: الآفات المعيقة عن الصبر.

الوقفة السادسة: نماذج من الصابرين.

❊ ❊ ❊

الوقفة الأولى: المقـــدمات:

أ ـ تعريفـــــه:

الصبر لغة: الحبس والكف، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ . . . الآية﴾[الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم.

واصطلاحـاً: حبس النفس على فعل شيء أو تركه ابتغاء وجه الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

*** وفـي هـذا التعـريـف إشـارة إلـى أنـواع الصبـر الثـلاثـة والباعث عليه.**

* **أما أنواعه فهي: صبر على طاعة الله، وصبر عن** معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. ففي قولنا: (على فعل شيء) دخل فيه الأول، وفي قولنا: (أو تركه) دخل فيه النـوعـان الثـانـي والثـالـث؛ أمـا دخـول الثـانـي فظـاهـر

لأنه حبسٌ للنفس على ترك معصية الله، وأما دخول الثالث فلأنه حبس للنفس عن الجزع والتسخط والجزع عند ورود الأقدار المؤلمة.

* **أما الباعث عليه:** فهو في قولنا: (ابتغاء وجه الله) قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝﴾ [المدثر: ٧] فالصبر الذي لا يكون باعثُه وجهَ الله لا أجر فيه، وليس بمحمود، وقد أثنى الله في كتابه على أولي الألباب الذين من أوصافهم ما ذكره بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢].

* **وهذا النص يشير إلى حقيقة هامة جداً وهي أن صبغة الأخلاق ربَّانية** فهي ليست أخلاقاً وضعية أو مادية، وإنما ربانية، سواء من جهة مصدر الإلزام بها، أو من جهة الباعث على فعلها، فالعبد لا يفعلها تحت رقابة بشرية حين تغيب ينفلت منها، بل يفعلها كل حين، وعلى كل حال، لأن الرقابة ربانية، والباعث إرادة وجه الله تعالى.

ب ـ أهميتـــــه:

* الصبـــــر أبرز الأخلاق الوارد ذكرها في القرآن حتى لقد زادت مواضع ذكره فيه عن مائة موضع، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فكلما قلبت خلقاً أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر؛ **فالعفة**: صبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة، **وشرف النفس**: صبر عن شهوة البطن، **وكتمان السر**: صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام، **والزهد**: صبر عن فضول العيش، **والقناعة**: صبر على القدر الكافي من الدنيا، **والحلم**: صبر عن إجابة داعي الغضب، **والوقار**: صبر عن إجابة داعي العجلة والطيش، **والشجاعة**: صبر عن داعي الفرار والهرب، **والعفو**: صبر عن إجابة داعي الانتقام، **والجود**: صبر عن إجابة داعي البخل، **والكيس**: صبر عن إجابة داعي العجز والكسل. وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر، لكن اختلفت الأسماء واتحد المعنى، والذكي من ينظر إلى المعاني والحقائق أولاً ثم يجيل بصره إلى

الأسماء؛ فإن المعاني هي الأصول، والألفاظُ توابع، ومن طلب الأصول من التوابع زلَّ.

*** من هنا ندرك كيف علَّق القرآن الفلاح على الصبر وحده** ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥] ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

*** وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ما له من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا والأخرى**، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، فلولا صبر الزارع والدارس والمقاتل وغيرهم ما ظفروا بمقاصدهم.

وقلّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله
واستصحب الصبرَ إلا فاز بالظَّفَرِ

وقال آخر:

لا تيـــأســـنَ وإن طـــالـــتْ مطـــالبـــة
إذا استعنـــتَ بصبـــرٍ أن تـــرى فَـــرَجَـــا
أَخْلِـق بـذي الصبـر أن يحظـى بحـاجتـه
ومـــدمـــنِ القـــرعِ لـــلأبـــوابِ أن يَلِجَـــا

* ولئن كان الأمر كذلك في الدنيا، فهو في الآخرة أشد وأوكد، يقول أبوطالب المكي: «اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار؛ لأنه جاء في الخبر: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[١]، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكاره ليدخلَ الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار»[٢].

---

(١) رواه مسلم بهذا اللفظ في صفة الجنة برقم (٢٨٢٢)، عن أنس. وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة.
(٢) قوت القلوب ١/ ٢٠٠.

* وقال: «واعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلةُ الصبر عما يحبون، وقلة الصبر على ما يكرهون»[١].

* وإذا كان هذا شأن الصبر مع كل الناس، فأهل الإيمان أشد الناس حاجة إليه لأنهم يتعرضون للبلاء والأذى والفتن ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

* وكان التأكيد أشد في قوله: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] لقد بينت

---

(١) قوت القلوب ١/ ١٩٩.

الآية أن قوى الكفر ـ على ما بينها من اختلاف ـ متحدة ضد الإسلام، وقرنت لبيان موقف المؤمنين بين الصبر والتقوى، فلا يكتفون بالصبر وحده حتى يضيفوا إليه تقواهم لله، بتعفُّفهم عن مقابلة الخصوم بمثل أسلحته الدنيئة؛ فلا يواجهون الدسَّ بالدس؛ لأن المؤمنين تحكمهم قيمهم الأخلاقية في السلم والحرب والرخاء والشدة. ثم وصفت الآية الأذى المسموع بأنه كثير، فلابدَّ أن يوطِّن المسلمون أنفسهم على سماع الافتراء والزور والتلفيق والبهتان من عدوهم حتى يأتي نصر الله.

* **ورسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أشدُّ أهل الإيمان حاجة إلى الصبر**؛ لأنهم الذين يقومون أساساً بالدعوة، ويجابهون الأمم بالتغيير، وهم حين يقومون بذلك يكون الواحد منهم فرداً في مواجهة أمةٍ تعانده وتكذبه وتعاديه، قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل**»، وكلما كان القوم أشد عناداً وأكثر إغراقاً في الضلال كانت حاجة نبيهم إلى الصبر أكثر؛ كأولي العزم

مثلاً: نوح وإبراهيم وموسى ومحمد وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

* لقد كانت أوامر الرب ـ سبحانه ـ لمحمد ﷺ بالصبر كثيرة في القرآن، وما ذاك إلا لأنها دعوة شاملة تواجه أمم الأرض كلها، فخصومها كثيرون، وحاجة إمام الدعوة إلى الصبر أعظم، لقد واجه النبي ﷺ صنوف الأذى البدني والنفسي والمالي والاجتماعي والدعائي وغيره، وقاوم ذلك كله بالصبر الذي أمره به الله في عشرين موضعاً في القرآن، كلُّها إبَّان العهد المكي؛ لأنه عهد البلاء والفتنة والضعف وتسلط الكافر، وكان مما قاله الله له: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . . . ﴾ [النحل: ١٢٧] ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

[الكهف: ٢٨].

* وقال الله في سورة الطور آية تفيض حِكَماً وتجيش تربية ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨] فأمر بالصبر لحُكْمِه، وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق والعدل، وقال له: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بصيغة الجمع؛ لزيادة التثبيت والتأنيس، وأما موسى فقال الله له: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩]. ومن كان بعين الله ومرأىً منه فلن يضيع ولن يُغلَب.

* **ثم أمره بالتسبيح** كما أمره به في جملة آيات على أعقاب أمره بالصبر، ولعل السر فيه: أن التسبيح يعطي الإنسان شحنة روحية تحلو بها مرارة الصبر، **ويحمل التسبيح بحمد الله معنيين جليلين لابد أن يرعاهما من ابتلي:**

١ ـ **تنزيه الله تعالى أن يفعلَ عبثاً**، بل كل فعله موافق للحكمة التامة، فبلاؤه لحكمه.

٢ ـ **أن له تعالى في كل محنة منحةً**، وفي كل بلية نعماء، ينبغي أن تُذكر فتشكر وتحمد، ولعل هذا هو سر

اقتران التسبيح بالحمد هنا.

وفي قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ إيذان بكمال التربية ومزيد العناية.

جـ - حُكْمُــهُ:

* الصبر من حيث الجملة واجب، ويدل لذلك:

١ - أمر الله به في غير ما آية، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]وقال ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢ - نهيه عن ضده كما في قوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] وقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٣ - أن الله رتب عليه خيري الدنيا والآخرة، وما كان كذلك كان تحصيله واجباً.

* أما من حيث التفصيل فحكمه كما بين العلاّمة ابن

القيم بحسب المصبور عنه أو عليه: فهو واجب على الواجبات، وواجب عن المحرمات، وهو مستحب عن المكروهات، ومكروه عن المستحبات، ومستحب على المستحبات، ومكروه على المكروهات. ومما يدل على أن الصبر قد لا يكون لازماً: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]. **فالصبر عن مقابلة السيئة بمثلها ليس واجباً بل مندوبٌ إليه.**

*** وقد أمر الله المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة فقال:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وصيغة المصابرة تفيد المفاعلة من الجانبين، **والمعنى هنا: مغالبة الأعداء في الصبر**، فإذا كنا نصبر على حقنا فإن المشركين يصبرون على باطلهم؛ فلابد أن نغلبهم بمصابرتنا، ثم أمرنا بالمرابطة على تلك المصابرة والثبات عليها؛ لنحقق موعود الله ونظفر بالفلاح، فانتقلت الآية بالأمر من الأدنى إلى الأعلى؛ **فالصبر**: مع نفسك، **والمصابرة**: بينك وبين عدوك،

والمرابطة: الثبات وإعداد العدّة، وكما أن الرباط لزوم الثغر لئلا يهجم منه العدو فكذلك الرباط أيضاً لزوم ثغر القلب لئلا يهجم منه الشيطان فيملكه أو يخربه أو يناله بأذى. وعليه فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن مِلاك ذلك كله بالتقوى.

د ـ درجـــــاته:

* الصبر نوعان: بدني ونفسي، وكل منهما قسمان: اختياري واضطراري، فصارت أربعة:

أ ـ بدني اختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة.

ب ـ بدني اضطراري، كالصبر على ألم الضرب.

جـ ـ نفسي اختياري، كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً.

د ـ نفسي اضطراري، كصبر النفس عن فقدان محبوبها الذي حيل بينها وبينه.

والبهائم تشارك الإنسان في النوعين الاضطراريين، لكنه يتميز عنها بالنوعين الاختياريين.

* **والصبر الاختياري أكمل من الاضطراري**، فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتَّى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري، ولذلك كان صبرُ يوسف على مطاوعة امرأة العزيز، وصبرُه على ما ناله من السجن أعظمَ من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجُبِّ وفرقوا بينه وبين أبيه، وباعوه بيع العبد. ومن الصبر الاختياري: صبره على العز والتمكين الذي أورثه الله إياه فجعله مسخَّراً لطاعة الله، ولم ينقله ذلك إلى الكِبْر والبطر.

* **وكذلك كان صبر نوح والخليل وموسى الكليم والمسيح ومحمد** ﷺ، فإن صبرهم كان على الدعوة إلى الله، ومجاهدة أعداء الله، ولهذا سُمّوا أولي العزم، وأمر الله رسوله أن يصبر كصبرهم ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ١٣٥] ونهاه أن يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر فخرج مغاضباً قبل أن يؤذن له ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ

رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على أولي العزم حتى ردوها إلى خيرهم وأفضلهم وأصبرهم.

واعلم أن الصبر المتعلق بالتكليف ـ وهو صبر إما على الطاعة أو عن المعصية ـ أفضل من الصبر على مُرِّ القدر؛ فإن هذا الأخير يأتي به البرُّ والفاجرُ، والمؤمنُ والكافر، فلابد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً، أما الصبر على الأوامر وعن النواهي فهو صبر أتباع الرسل، والصبر على الأوامر أفضل من الصبر عن النواهي؛ لأن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحظور، والصبر على أحب الأمرين أفضل وأعلى.

الوقفة الثانية: فضائل الصبر في القرآن الكريم:

* حديث القرآن عن فضائل الصبر كثير جداً، وهذه العُجَالة لا تستوعب كلَّ ما ورد في ذلك، لكن نجتزئ منه ما يلي:

١ ـ علَّق الله الفلاح به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢ ـ الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيرهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ [القصص: ٥٤]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

٣ ـ تعليق الإمامة في الدين به وباليقين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

٤ ـ ظفرهم بمعية الله لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٥ ـ أنه جمع لهم ثلاثة أمور لم تُجمَع لغيرهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

٦ ـ أنه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به فقال: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

٧ ـ أنه علق النصر بالصبر والتقوى فقال: ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ

﴿مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

٨ ـ أنه تعالى جعل الصبر والتقوى جُنَّة عظيمة من كيد العدو ومكره، فما استجنَّ العبدُ بأعظم منهما ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٩ ـ أن الملائكة تسلم في الجنة على المؤمنين بصبرهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

١٠ ـ أنه رتب المغفرةَ والأجرَ الكبير على الصبر والعمل الصالح، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود: ١١].

١١ ـ أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، أي: مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلِّها وأشرفها ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

١٢ ـ أنه سبحانه جعل محبته للصابرين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

١٣ ـ أنه تعالى قال عن خصال الخير: إنه لا يُلقَّاها إلا الصابرون ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

١٤ ـ أنه سبحانه أخبر أنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبّار الشكور ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥] و[لقمان: ٣١] و[سبأ: ١٩] و[الشورى: ٣١] قال ابن القيم: «فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر»(١).

١٥ ـ أنه سبحانه أثنى على عبده أيوب أجلَّ الثناء وأجمله لصبره، فقال ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤].

١٦ ـ أنه حكم بالخسران التام على كل من لم يؤمن ويعمل الصالحات، ويكن من أهل التواصي بالحق والصبر ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

* قال الإمام الشافعي: «لو فكر الناس كلهم في هذه

---

(١) عدة الصابرين ص٧٥.

الآية لَوسِعتهم»، «وذلك أن العبد كماله في تكميل قوتيه: قوة العمل، وقوة العلم، وهما: الإيمان والعمل الصالح. وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج لتكميل غيره، وهو التواصي بالحق، وقاعدة ذلك وساقه إنما يقوم بالصبر»(١).

١٧ ـ أنه سبحانه خصَّ أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان، ووصَّوا بهما غيرهم، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨].

١٨ ـ أنه تبارك وتعالى قرن الصبر بمقامات الإيمان وأركان الإسلام وقيم الإسلام ومثله العليا، فقرنه بالصلاة ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ [هود: ١١]، وجعله قرينَ التقوى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾

---

(١) عدة الصابرين ص٧٥.

[يوسف: ٩٠]، وقرينَ الشكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقرينَ الحق ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وجعله قرينَ المرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] وقرينَ اليقين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وقرينَ التوكل ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] وقرينَ التسبيح والاستغفار ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] وقرنه بالجهاد ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

١٩ ـ إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

ومما ورد في السنة في فضائل الصبر:

١ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، ثم صبر، عوضته منهما الجنة**، يريد: عينيه» [رواه البخاري][1].

٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**» [رواه البخاري][2].

٣ ـ وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشَّف، فادع الله لي، قال: «إن شئتِ

---

(١) ١٠/ ١٠٠ في المرضى، باب فضل من ذهب بصره.

(٢) ١١/ ٢٠٧ في الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله.

صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيكِ» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها» [متفق عليه][(١)].

٤ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ومن يتصبر يصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» [متفق عليه][(٢)].

٥ ـ وعن صهيب الرّومي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره له كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سَرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم][(٣)].

٦ ـ وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يودّ

---

(١) البخاري ١٠/٩٩ في المرضى، باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) البخاري [١١/٣٠٣ فتح] في الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) مسلم (٢٩٩٩).

أهل العافية يوم القيامة حين يُعْطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضت بالمقاريض»[رواه الترمذي][(١)].

٧ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[رواه الترمذي والحاكم][(٢)].

٨ ـ وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦] اللهم أَجِرْني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها، قالت: فلما توفي أبوسلمة قلت: مَن خير من أبي سلمة، صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي، فقلتها، قالت: فتزوجت رسولَ الله ﷺ» [رواه مسلم][(٣)].

---

(١) الترمذي (٢٤٠٢) وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٩) وقال: حسن صحيح، والحاكم ٤/ ٣١٤ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) مسلم (٩١٨).

٩ ـ وعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقُها أو موبقُها» [رواه مسلم][1].

وبعد: فهذا غيض من فيض في باب فضائل الصبر، ولولا الإطالة لاسترسلنا في ذكر تلك الفضائل والمنازل، ولعل فيما ذُكر عبرة ودافعاً على الصبر، فالله المستعان.

الوقفة الثالثة: مجالات الصبر في القرآن الكريم:

أ ـ الصبر على بلاء الدنيا:

لقد أخبرنا الله تعالى بطبيعة الحياة الدنيا، وأنها خلقت ممزوجة بالبلاء والفتن، فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أي: مشقة وعناء، وأقسم على ذلك بقوله:

---

(١) مسلم (٢٣٤).

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] وإذا أُطلق الصبر فلا يكاد ينصرف إلى غيره عند كثير من الناس.

ب ـ الصبر عن مُشتهيات النفس:

* وهو ما يسمى بالسرَّاء، فإن الصبر عليها أشد من الصبر على الضرَّاء، قال بعضهم: «**البلاء يصبر عليه المؤمن، والعافية لا يصبر عليها إلا صِدِّيق**»، وقال عبدالرحمن بن عوف: «**ابتُلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر**». إن المؤمن مطالب بأن لا يطلق لنفسه العنان في الجري وراء شهواتها؛ لئلا يخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، وإهمال حق الله تعالى فيما آتاه وبسطه له، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

والصبر يكون في هذا النوع من وجوهٍ أربعة كما قرره ابن القيم[١]:

١ ـ ألا يركن إليها، ولا يغتر بها، ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

٢ ـ ألا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها. فإنها تنقلب إلى أضدادها؛ فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع انقلب ذلك إلى ضده، وحُرم الأكل والشرب والجماع.

٣ ـ أن يصبر على أداء حق الله تعالى فيها، ولا يضيعه فَيُسْلَبَها.

٤ ـ أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يمكِّن نفسه من كل ما تريده منها، فإنها توقعه في الحرام، فإن احترز كلَّ الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون.

* وإنما كان الصبر على السراء شديداً لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره.

---

(١) عدة الصابرين ص٦٣.

* ومما يدخل في هذا النوع من الصبر: الصبر عن التطلع إلى ما بيد الآخرين من الدنيا، والصبر عن الاغترار بما ينعمون به من مال وبنين، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦]. وقد نهى الله رسوله ﷺ عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

* فالمؤمن من يعتز بنعمة الهداية، ويعلم أنما هم فيه من الدنيا ظل زائل، وعارية مستردة، ولا يبالي بمظاهر الفخامة التي يتبجّح بها الطغاة، لقد قال الذين يريدون الحياة الدنيا لما رأوا قارون في زينته: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩] أما أهل العلم والإيمان فقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

جـ ـ الصبر على طاعة الله تعالى:

* إن الصبر على طاعة الله أعظم مجالات الصبر، وهو لذلك أشدها على النفوس، وقد جاءت صيغة الأمر بالصبر على الطاعة مغايرةً لغيرها فقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] فاستخدم صيغة الافتعال، وهو يدل على المبالغة في الفعل؛ إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وما ذاك إلا لمشقة مجاهدة النفوس على القيام بحق العبودية في كل الأحوال.

* واعلم أن الصبر على الطاعة له ثلاث أحوال:

١ ـ قبل الطاعة: بتصحيح النية والصبر عن شوائب الرياء، وعقد العزم على الوفاء. ولعل هذا يُظهر سرَّ تقديم الصبر على العمل الصالح في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

٢ ـ حال الطاعة بألاّ يغفل عن الله فيها، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابها وسننها، ولعله المراد بقوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨ ، ٥٩]صبروا إلى تمام العمل.

٣ ـ بعد الفراغ منها، فيصبر على عدم إفشائها والمراءاة والإعجاب بها، وترك ما يبطلها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٣﴾ [محمد: ٣٣]وقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

د ـ الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله:

*** غير خافٍ عليك ضرورة صبر الداعية على ما يلاقيه في دعوته**، فإنه يأتي الناس بما لا يشتهونه ولا يألفونه، وبما يخالف ما وجدوا عليه آباءهم، فلذلك يقاومون الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، ويوصلون الأذى بالداعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

* إن إعراضهم عن الدعوة يحتاج إلى صبر، كصبر نوح الذي بقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً،

وحكى الله عنه قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

* وما يحيكه المُغْرِضون من مؤامرات الكيد التي تؤذي الداعية في أهله ونفسه وماله تحتاج إلى صبر، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

* وقد أجمع الأنبياء على رد أذى أقوامهم بالصبر ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وسحرة فرعون لما وقر الإيمان في قلوبهم قابلوا تهديده بالقتل والصَّلب بقولهم: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ

ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ ، ١٢٦].

* إن طول الطريق، واستبطاء النصر يحتاج إلى صبر، وصبر حار شديد، ولذا خوطب المؤمنون في القرآن بقوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

هـ ـ الصبر حين البأس:

أي: الصبر في الحرب وعند لقاء العدو والتحام الصفوف، فالصبر ثَمّ شرط للنصر، والفرار كبيرة، وقد أثنى الله تعالى على الصابرين في ساعة القتال فقال في آية البر: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ ـ أي الفقر ـ وَٱلضَّرَّآءِ ـ أي المرض ـ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* ويوجبه على عباده بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥ ، ٤٦].

* وعندما تضطرب أمور المعركة وينفرط عقدها تكون الحاجة إلى الصبر أعظم وأشد، كما حدث في أُحد حين انكشف المسلمون وشاع أن رسول الله ﷺ قُتل - انجفل فريق من المسلمين منهزمين، وصبر آخرون، فنزل من القرآن إشادة بمن صبروا وإنكار على أولئك ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢] ثم لا يعذرهم في فرارهم وانهزامهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى أن قال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

* وقد حدثنا الله عن الثُلّة المؤمنة مع طالوت عندما انتصرت لما اعتصمت بالصبر، وقد اختبر طالوت من معه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ...﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فصبر ثلة مؤمنة على ترك الشرب من النهر إلا غرفة باليد ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩ ، ٢٥٠] لقد سألوا الله حين اللقاء صبراً، وأوعبوا فقالوا: (أفرغ) إذ هم بحاجة إلى صبر كثير، وكانت النتيجة ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ .. الآيات﴾ [البقرة: ٢٥١].

و ـ الصبر في مجال العلاقات الإنسانية:

* لا تستقيم الحياة مع الناس إلا بالصبر، بدءاً بأقرب من يعاشرك وهي الزوجة، وانتهاءً بأبعد الناس عنك، وقد

قال الله تعالى مبيناً ما ينبغي أن يتحلَّى به الزوج من صبر في مواجهة مشاكل الزوجية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] أي فاصبروا فعاقبة الصبر حميدة.

* ويوصي الله عباده بالصبر على ما يلاقونه من الناس من ضر، وألا يقابلوا السيئة بمثلها، فيقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

* ومما يُنْظَم في هذا العِقد: صبرُ التلميذ على التعلم والمعلم، وهذا ما حدثنا عنه في القرآن عندما ذهب موسى إلى الخضر ليعلمه مما علمه الله، قال له الخضر ـ إما لأن الله أخبره بالحقيقة، أو تهييجاً على الصبر ـ قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨] فتعهد موسى بالصبر قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

الوقفة الرابعة: الأسباب المعينة على الصَّبْرِ:

أ ـ المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا:

* إن من عرف طبيعة الدنيا وما جُبلت عليه من الكدر والمشقة والعناء ـ هان عليه ما يُبتلى به فيها؛ لأنه وقع في أمر يتوقعه، والشيء من معدنه لا يُستغرب، وقد عرَّفنا الله بهذه الحقيقة فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أي: في مشقة وعناء، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] وبين جل جلاله أنها لا تدوم على حال، بل يوم لك ويوم عليك ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

جُبلتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها
صفواً من الآلامِ والأكدار
ومُكلِّف الأيامِ ضدَّ طِباعها
متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ

* إن من لا يعرف هذه الحقيقة سيُفاجأ بوقائع الأحداث تصبُّ على رأسه صباً، فيظن أنه الوحيد من بين بني الإنسان الذي يصاب بذلك لشؤمه وسوء حظه، ولذلك يبادر بعضهم بالإجهاز على نفسه بالانتحار، لأنه ما علم أن لكل فرحة تَرْحة، وما كان ضحك إلا كان بعده بكاء، وما مُلىء بيت حَبْرة إلا ملئ عَبْرة، وما عَبَّت دار من السرور إلا عَبَّت من الحزن، وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مُبتلىً: إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه. وأن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرَّت يوماً أساءت دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً».

ب ـ معرفتك بأنك وما بيدك ملك لله تعالى، ومرجعك إليه:

* قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] وقد علمنا في كتاب ربنا أن نقول عند حلول المصائب: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

* يقول ابن القيم: وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمَّنَ أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلًّى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل، وقد جُعل عند العبد عارية. وأيضاً فإنه محفوف بعدمين: عَدَمٍ قبله، وعَدَمٍ بعده، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقى عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته، فكيف يفرح بموجود ويأسى على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم علاجٍ لهذا الداء. ولذلك يقال عند تعزية المصاب «إن لله

ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مُسمًّى»[١].

وقد أدركت أم سليم هذا المعنى عندما توفي ابنها، فلما جاء أبوه ـ أبوطلحة ـ يسأل عنه قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح ـ تعني الموت، وقد ظن أنها تريد النوم لمجيء العافية ـ وكانت قد هيأت نفسها لزوجها، فتعرَّضت له، فأصاب منها، فلما أراد الخروج لصلاة الفجر، قالت له: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أن قوماً أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: **لا، إن العارية مؤداة إلى أهلها**، **فقالت**: إن الله **أعارنا فلاناً ثم أخذه منا**، **فاسترجع**... إلى آخر القصة»[٢].

جـ ـ اليقين بحسن الجزاء عند الله تعالى:

*** إن مما يرغِّب الإنسان في العمل ويزيده ثباتاً فيه:**

---

(١) أخرج القصة البخاري ٣/ ١٣٥ في الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة. ومسلم (٢١٤٤).

(٢) رواه البخاري ٣/ ١٢٤ في الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببكاء أهله عليه»، ومسلم (٩٢٣).

علمُه بحسن جزائه في الآخرة. ولا نجد في القرآن شيئاً ضخم جزاؤه وعظم أجره مثل الصبر، فيقول: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] ويقول مبيناً أن الصابرين يُجزون بأحسن ما عملوا: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، ويصرح بأن أجرهم غير معدود ولا محدود فيقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقد ذُكِّر المؤمنون بهذه الحقيقة في الكلمة التي أمروا أن يقولوها عند حلول المصائب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيتذكرون أنهم سيرجعون إلى الله فيجزيهم على عملهم وصبرهم أحسن الجزاء وأوفاه.

* يقول أبوطالب المكي في قوت القلوب: «وأصل قلة الصبر: ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له، لأنه لو قوى يقينه، كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً، فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء...».

د ـ الثقة بحصول الفرج:

* إن يقين العبد بأن النصر مقرون بالصبر، وأن الفرج آتٍ بعد الكرب، وأن مع العسر يسراً ـ يقويه على الصبر على ما يلاقيه، وقد كثرت الآيات الدالة على هذا المعنى؛ لما له من أثر في مزيد التحمل والثباتِ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

* قال بعضهم: «لن يغلب عسرٌ يُسرين» يقصد بذلك: أن العسرَ ورد معرفة في الموضعين، والمعرفة إذا كُرِّرت في الجملة لا تفيد التعدد، بخلاف النكرة، وهي التي ورد بها اليسر في الموضعين؛ فإذا قلت: جاء الرجل وأكرمت الرجل، كان الرجل في الموطنين واحداً، وإذا قلت: جاء رجلٌ، وأكرمت رجلاً، كان المقصود رجلين.

* وقد جُعل اليُسْرُ في الآيتين مع العسر لا بعده؛ لينبِّه إلى قرب تحققه بعده حتى كأنه معه، ولينبه أيضاً إلى أن كل عسر مقرون بيسر وأكثر، فما من مصيبة يُبتلى بها عبد إلا ولله

فيها ألطاف بأن لم يجعلها على نحو أعظمَ أو أكبرَ أو أطولَ مما هي عليه.

* وقد تكرر في القرآن الأمر بالصبر مقروناً بالتذكير بأن وعد الله حق لا يتخلف أبداً، قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠] وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

* إن اشتداد الأزمة في سنن الله تعني: قربَ انبلاج الفجر وظهورَ طلائع النصر، كما قيل:

اشتـــــدِّي أزمـــــة تنفـــــرجـــــي
قـــــد آذن ليلُـــــك بـــــالبَلَـــــجِ

* ولهذا نجد يعقوبَ يكون أملُه في العثور علي يوسف أشدَّ عندما أُخذ ابنه الثاني، فيقول: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣] ثم قال لأبنائه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

هـ - الاستعـــانة بالله:

* مما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى، ويلجأ إلى حماه، فيشعر بمعيته سبحانه، وأنه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمى ربه فلن يُضام، ولذا قال موسى لقومه بعد أن هددهم فرعون بما هددهم به: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

إذا لـــم يكُـــنْ عـــونٌ مـــن الله للفتـــى
فـــأكثـــرُ مـــا يجنـــي عليـــه اجتهـــادُهُ

* ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه - هي بعض أسـرار اقتـران الصبـر بالتـوكل على الله في آيات كثيرة، كقوله: ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] وقـولـه عن رسله: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

و ـ الاقتداء بأهل الصبر:

* إن التأمّل في سير الصابرين يعطي الإنسان شحنة دافعة على الصبر، ومن هنا ندرك سرَّ حرص القرآن المكي على ذكر صبر الأنبياء على ما لاقوه من أممهم، وهذا ما صرح الله تعالى به في قوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠] وقال الله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

* وجاء الأمر صريحاً لرسول الله ﷺ بالاقتداء بالصابرين قبله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

* وحين نزل البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ جاءهم التذكير ببلاء مَن كان قبلهم ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣] وقال لهم: ﴿ أَمْ

حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ز ـ الإيمان بقدر الله تعالى:

* إن إيمان العبد بقدر الله النافذ واستسلامه له أكبرُ عون على تجشُّم مصاعب المصائب. وعِلْمُ العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ـ بَرْدٌ من اليقين يُصَبُّ على فؤاده، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الحديد: ٢٢ ، ٢٣]. وركون المؤمن إلى قدر الله في مثل هذا المقام واحتجاجه به ـ أمرٌ لا غبار عليه؛ لأنه إحالة على القدر فيما لا اختيار للعبد فيه.

* واعلم أن الجزع والهَلَع والتبرُّم والضيق لا يرد من قدر الله شيئاً، فلابد من الصبر أولَ الأمر لئلا يُحرَم العبد من المثوبة، ولئن لم يصبر أول الصدمة فسيصبر بعد ذاك رغم

أنفه، ولا أجر له، قال حكيم: «العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد سبعة أيام».

* إن المبالغة في التشكي والتبرم لا يغير من الواقع شيئاً، بل يزيد النفس هماً وكمداً، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ ـ٣٥].

* فأزال الوحشة عن قلب الرسول ﷺ في أول آية بأن تكذيبهم ليس للرسول وإنما هو لله تعالى، ثم عَزّاه في الثانية وسلّاه بما حدث لرسل الله فصبروا، ثم قال له: إن شقَّ عليك إعراضهم وذهبتْ نفسك عليهم حسرات وضاق صدرك فليس لك إلا الصبر، وإلا فافعل ما بدا لك، فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض تهرب منه أو سلماً في السماء تصعد عليه فَدُونَك فافعل.

الوقفة الخامسة: الآفات المعيقة عن الصبر:

أ ـ الاستعجال:

* **النفس موكولة بحب العاجل ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾** [الأنبياء: ٣٧] فإذا أبطأ على الإنسان ما يريد نفد صبره، وضاق صدره، واستعجل قطف الثمرة قبل أوانها، فلا هو ظفر بثمرة طيبة، ولا هو أتم المسير، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: العذاب فإن له يوماً موعوداً.

* **لقد باءت بعض الدعوات بالفشل، ولم تؤتِ ثمرتها المرجوة بعلة الاستعجال**، ولو أنهم صبروا لكان خيراً لهم، ثار بعضهم على الطغيان ولمَّا يقم على ساقه، ويشتد عوده، وتكتمل آلته وتنضج دعوته، وتمتد قاعدته ـ فقُضي على الدعوة ووُئِد الداعية، وذهب الاثنان في خبر كان. والحديث عن الاستعجال أطولُ من هذا، ولكن في الإشارة للبيب ما يغني عن العبارة.

ب ـ الغضــــب:

* قد يرى الداعية من المدعوين ما لا يليق، فيستفزُّه الغضب، فيدفعه إلى ما لا يحسن به، مما يسيء إلى الدعوة، ويلصق بجبين حاملها وصمةَ عارٍ تبقى الدهرَ كله، ولهذا حذر الله تعالى رسوله ﷺ من مغبَّة الغضب، بأن لا يقع فيما وقع فيه يونس ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨] لقد فرغ صبره فضاق صدره فغادرهم غاضباً قبل أن يأذن الله له ظناً منه أن الله لن يضيِّق عليه؛ فضيق الله عليه؛ بأن جعله في بطن الحوت ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فتاب، فتاب الله عليه: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

جـ ـ اليــــأس:

* أعظم عوائق الصبر، وهو الذي حذر يعقوب أبناءه من الوقوع فيه مع تكرار البحث عن يوسف وأخيه ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا

يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وهو الذي أمر الله ـ جل وعلا ـ المؤمنين بمدافعته، فبذر الأمل في صدورهم ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩، ١٤٠] وقال لهم: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٥].

* إن إضاءة شعلة الأمل دواء اليأس، وهذا ما ذكَّرت به الآيات المؤمنين، وهو ما ذكر به موسى قومه، فقال: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ولما شكا خَبّاب إلى رسول الله ﷺ ما يلاقيه من أذى قريش، قال له رسول الله ﷺ بعد أن ذكَّره مُصاب الصالحين في الأمم قبله: «والله لَيتمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم

تستعجلون»(١).

الوقفة السادسة: نماذج للصابرين:

* لقد ضُرب لنا في القرآن نماذجُ رائعة تجسَّدت فيهم حقيقة الصبر، واستحقوا أن يُذكروا بصبرهم فيقتدي بهم الصابرون، وسنختار في هذه العُجَالة ثلاثة منها يتمثل في كل واحد منها لونٌ من الصبر:

أ ـ الصبر على طاعة الله:

* في قصة إبراهيم وإسماعيل التي حكاها الله لنا بقوله عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ

(١) رواه البخاري ٧/١٢٦ في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة.

هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾ [الصافات: ٩٩ - ١١١].

* **من أيهما تعجب؟ من الأب الذي رأى في المنام أنه يذبح ابنه، أم من الابن الذي يستسلم لأمر الله طواعية واختياراً؟** لقد كان الابنُ وحيدَ إبراهيم، ولم يأته إلا على كبر، فما ظنك بتعلق الأب بابنه؟ إنه تعلق لا يوصف، ولكن تعلقه بالله أعظم، وطاعته لله فوق كل ذلك، لقد حطم إبراهيم كلَّ نداءات الأرض لما جاء الأمر من الله سبحانه، وضرب للناس أروعَ الأمثال في الطاعة، **ولقد كان الوحي في هذه المرة رؤيا، فلم يتأولها إبراهيم لصالحه بدافع س غريزة الأبوة**، ولكنه امتثل، وعرض على ابنه ما رأى عرضاً في غاية الإيجاز والسهولة، ولكنه يتضمن أمراً في غاية الخطورة.

* ولم يكن الابن صغيراً بحيث لم ير الأب من جدواه ونفعه ما يجعله شديد التعلق به والاعتماد عليه، ولكنه بلغ

مع أبيه السعي، فأصبح فتىً مفتول العضلات قوي الساعد، **وكانت إجابةُ الابن مُحيِّرةً حقاً، لقد حسم الموقف بجملتين قالهما لأبيه خلَّدهما التاريخ له، وكانتا سبباً في تدوين اسمه** في الصابرين ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] قال إسماعيل: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي لا تأخذ رأيي، ولا تنتظر مشورتي، بل نفذ ما أُمرت به **ثم لا ينسى أن يستمد العون من الله على حاله بالصبر، فهو لا يعتمد على** قوتِه وشدة جَلَده بل يسأله من ربه، وصَدَقا، وأسلم الوالد ولده، وتلَّه أبوه للجبين، وتهيأ للذبح، وجاءت البشرى عند ذاك بعد أن حقق الابتلاء ثمرته ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

ب ـ الصبر عن معصية الله:

* **وأبرز الأمثلة وأشدها وضوحاً: صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز،** لقد كان الصبر ظهير يوسف في محنه التي ابتلي بها اضطراراً واختياراً وكشف عن هذا

حين عثر إخوته عليه فقال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

* **لقد رفض كل العروض والإغراءات، وخرج من الفتنة بإيمانه وصبره**، وكان صبره هذا أرقى من صبر أبيه يعقوب على الفراق، وأرقى من صبر أيوب على ما بلي به؛ لأن صبرهما كان اضطرارياً، لا حيلة لهما في رفعه ولا دفعه، بينما كان صبر يوسف ـ ثَمَّ وحين تملَّك فلم يتكبر ولم يطغ ـ صبراً اختيارياً.

* **يقول ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله:** «كان صبرُ يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكملَ من صبره على إلقاء إخوته له في الجُبِّ وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا، ومحاربة للنفس، ولاسيما مع

الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة:

١ ـ فإنه كان شاباً، وداعيةُ الشباب إليها قوية.

٢ ـ وعَزَباً ليس معه ما يعوضُه ويرد شهوته.

٣ ـ وغريباً، والغريب لا يستحيي في بلدِ غربته مما يستحيي منه بين أصحابه ومعارفه وأهله.

٤ ـ ومملوكاً، والمملوك أيضاً ليس وازِعُه كوازع الحر.

٥ ـ والمرأة جميلة وذات منصب، وهي سيدته.

٦ ـ وقد غاب الرقيب.

٧ ـ وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص.

٨ ـ وتوعدته إن لم يفعلْ بالسجن والصَّغار.

ومع هذه الدواعي كلها صَبَر اختياراً وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه». ا. هـ.

* لقد ضحى بدنياه من أجل دينه، وبحريته من أجل عقيدته، وقال قولته المشهورة: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

[يوسف: ٣٣].

ولما أُفرج عنه من السجن الطويل واستُدعي لمقابلة الملك، لم يستفزَّه هذا الخبر، بل طلب التحقيق في القضية حتى تظهر براءته على الملأ، وحدث ذلك فعلاً، وعند ذلك ازداد إعجاب الملك به، فقال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ وكان في المرة الأولى قال ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾قط فلما كلمه قال: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف: ٥٤].

جـ ـ الصبر على أقدار الله المؤلمة:

* إن أشهر من يُقرن اسمه بهذا اللون من الصبر نبي الله أيوب عليه السلام؛ لقد أصابه ضُرٌّ عظيم في بدنه وأهله وماله، فصبر، فخُلِّد ذكره في القرآن فقيل: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ

ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٤].

* لقد ذكر له من ألوان التكريم وأوسمة الشرف ما هو جدير بمثله؛ لعظيم صبره:

فأولها: تكريمه بتخليد ذكره ومباهاة الله به عند رسوله محمد ﷺ.

وثانيها: تكريمه بقوله: ﴿عَبْدَنَآ﴾ حيث أضافه إليه، والعبودية من أشرف أوصاف الإنسان التي يتحلى بها.

وثالثها: عندما استجاب نداءه وكشف ضره ووهب له أهله ومثلهم معهم.

ورابعها: حينما جعل له مخرجاً من يمينٍ حَلَفَه على امرأته، فكرمت وكرم بما يخلصه من مأزق الحنث.

وكانت خاتمةُ ذلك هذا الوسامَ من الشرف: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ فوصفه بالصبر حتى قُرن الصبرُ بأيوب فلا يذكر إلا وهو معه، ثم قال: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ فكانت شهادة من الله بتمام عبوديته، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥٓ

أَوَّابٌ﴾، والأواب: المبالغ في كثرة وشدة رجوعه إلى الله تعالى.

*** وقد ذكر الله تعالى صبره في موطن آخر فقال:** ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٥] لقد كان نداءُ أيوب في ضرَّائه غاية في اللطف والأدب؛ ولذا كانت الإجابة آية في التمام والكمال، لقد نادى ربه ولم يسأله شيئاً بعينه من الأهل والعافية، وذكر ربه بما هو أهله وبما اتصف به ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فاستجاب الله دعاءه فكشف عنه الضر، ورد عليه الأهلَ ومثلَهم معهم، وجعله ذكرى للعابدين وإماماً من الصابرين.

جعلني الله وإياك منهم، وحشرنا معهم، وآجرنا بأجرهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفهــرس